الا انه وصف بما هو من صفات الاصوات والحروف الدالة عليه مجازا او وصفا للمدلول
بصفة الدال كما تقول سمعت هذا المعنى من فلان وقراته من بعض الكتب وكتبته
بيدي وهذا ما قال اصحابنا من ان القراة حادثة اعني اصوات القاري التي هي من
اكتسابه يؤمر بها تارة ايجابا وندبا وينهى عنها حينا وكذا الكتابة اعني حركات
الكاتب والاحرف المرسومة واما المقرو بالقراة المكتوب في المصاحف المحفوظ في الصدور
المسموع بالاذان فقديم ليس حالا في لسان ولا قلب ولا مصحف لان المراد به المعلوم
بالقراة المفهوم من الملفوظ ومن الاصوات المسموعة وكذا المنزل اذ معنى الانزال
ان جبريل عليه الصلاة والسلام ادرك كلام الله تعالى وهو في مقامه ثم نزل الى
الارض وافهم النبي صلى الله عليه وسلم ما فهمه عند سدرة المنتهى من غير نقل لذات
الكلام فان قيل اذا اريد بكلام الله تعالى المنتظم من الحروف المسموعة من غير
اعتبار تغير المحل فكل احد منا يسمع كلام الله تعالى وكذا اذا اريد به المعنى الازلي
واريد بسماعه فهمه من الاصوات المسموعة فما وجه اختصاص موسى عليه
الصلاة والسلام بانه كليم الله تعالى قلت فيه اوجه احدها وهو اختيار حجة
الاسلام الغزالي وطريق الاشعري انه سمع كلام الله الازلي بلا صوت وحرف كما ترى
ذاته في الاخرة بلا كم وكيف وهذا على مذهب من يجوز تعلق الرؤية والسماع بكل
موجود حتى الذات والصفات لكن سماع غير الصوت والحرف لا يكون الا بطريق
خرق العادة وثانيها انه سمعه بصوت من جميع الجهات على خلاف ما هو العادة
وثالثها انه سمع من جهة لكن بصوت غير مكتسب للعباد على ما هو شان سماعنا
وحاصله انه اكرم موسى عليه الصلاة والسلام فافهمه كلامه بصوت تولى خلقه
من غير كسب لاحد من خلقه والى هذا ذهب ابو منصور الماتريدي والاسفرايني
وقال الآمدي اذ اتفقوا على انه لا يمكن سماع غير الصوت الا ان منهم من بت القول
بذلك ومنهم من قال كما كان المعنى بالنفس معلوما بواسطة سماع الصوت كان مسموعا
فالاختلاف لفظي لا معنوي فليتامل واما الوجه الثالث وهو ان كلامه تعالى لو كان
ازليا لزم الكذب في اخباره تعالى فقد سبق توجيهه مع جوابه كما سبق مثل ذلك
في الوجه الرابع وهو ان كلامه تعالى يشتمل على امر ونهي واخبار واستخبار ونداء وغير ذلك
فلو كان ازليا لزم الامر بلا مامور والنهي بلا منهي الى اخر ما سلف مع زيادة على ذلك
نعم استدلالهم بان القران متصف بما هو من صفات المخلوقات وسمات الحدوث
من التاليف والنظم والانزال والتنزيل وكونه عربيا مسموعا فصيحا معجزا الى غير ذلك
انما يقوم حجة على الحنابلة والمراد بهم رعاع زعموا انهم اتباع الامام احمد وهو بري منهم
ومن جهة اصحابه كما بينه ابن ناجي في شرح الرسالة فان قلت اذا كان المعتزلة
نافين للكلام النفسي فما معنى كونه تعالى عندهم متكلما اذ هو متواتر بحيث لا يمكن انكاره

قلت

قلت لما لم يمكنهم انكار كونه تعالى متكلما ذهبوا الى انه متكلم بمعنى انه اوجد الاصوات
والحروف في محالها او اوجد اشكال الكتابة في اللوح المحفوظ وان لم تقرا على اختلاف بينهم
ويرد ما ذكرنا ويلزمهم ان المتحرك من قامت به الحركة لا من اوجدها والا لصح اتصاف الباري
تعالى بالاعراض المخلوقة له تعالى عن ذلك علوا كبيرا وههنا تنبيهات الاول
ان الموجودات ما كان له الوجودات الاربعة ولذا كان القران مشتملا عليها وهي الوجود
في الاعيان وهو حقيقي بالاتفاق والوجود في الاذهان وهو حقيقي عند الحكما مجازي
عندنا والوجود في العبارة والوجود في الكتابة وهما مجازيان بالاتفاق فالكتابة تدل
على العبارة وهي على ما في الاذهان وهي على ما في الاعيان فحيث يوصف القران بما هو
من لوازم القديم كما في قولنا القران غير مخلوق فالمراد حقيقته الموجودة في الخارج
وحيث يوصف بما هو من لوازم المخلوقات والمحدثات يراد به الالفاظ المنطوقة
المسموعة كما في قولنا قرات نصف القران او المخيلة كما في قولنا حفظت القران او الاشكال
المنقوشة كما في قولنا يحرم للمحدث مس القران ولما كان دليل الاحكام الشرعية هو
اللفظ دون المعنى القديم عرفه ايمة الاصول بالمكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر
وجعلوه اسما للنظم من حيث الدلالة على المعنى لا لمجرد المعنى كما سبق الثاني يرد على
جعل كلام الله تعالى حقيقة في المعنى القديم مجازا في النظم المولف انه لو كان مجازا فيه
لصح نفيه عنه بان يقال ليس النظم المنزل المعجز المفصل الى السور والايات كلام الله
تعالى والاجماع على خلافه وايضا المعجز المتحدى به هو كلام الله تعالى حقيقة مع القطع
بان ذلك انما يتصور في النظم المولف المفصل الى السور اذ لا معنى لمعارضة الصفة القديمة
والجواب ان التحقيق ان كلام الله تعالى اسم مشترك بين الكلام النفسي القديم
ومعنى الاضافة كونه صفة لله تعالى وبين اللفظي الحادث المولف من السور
والايات ومعنى الاضافة انه مخلوق لله تعالى ليس من تاليفات المخلوقين
فلا يصح النفي اصلا ولا يكون الاعجاز والتحدي الا في كلام الله تعالى وما وقع في عبارة
بعض المشايخ من انه مجاز فليس معناه انه غير موضوع للنظم المولف بل معناه ان
الكلام في التحقيق وبالذات اسم للمعنى القائم بالنفس وتسمية اللفظ به ووضعه
لذلك انما هو باعتبار دلالته على المعنى كما قدمناه فلا نزاع لهم في الوضع والتسمية الثالث
اورد بعض الملحدة اشكالا وصفه بانه صعب وهو ان في القران محذوفات لا يتم المرام
بدون تقديرها والمقام قد يقتضي تقدير لفظ بعينه وقد لا يقتضي والعالم بالصواب
ان يقدر ربما يحتاج اليه من غير تكرار فالمحذوفات من كلام الله المقدرة لا شك انها
كلام البشر لان القران كلام قديم متواتر نازل من الله تعالى بلا توسط احد فيلزم
ان يكون الكلام القديم المعجز محتاجا الى الحادث الغير المعجز وهو ظاهر البطلان
والمركب من المعجز وغير المعجز غير معجز والمركب من القديم والحادث حادث

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)